مجرد همزة!

منذ انتقل إلى العمل في الهيئة الحكومية المرموقة وهو موضع حسد الأصدقاء والجيران... تحقَّق له أملًا راوده منذ سنوات، وإن كان قد جاءه متأخرًا... دخل إلى عمله منتشيًا... عبر البوابة الضخمة... ملأ عينيه من الاسم الذي تزين حروفه اللوحة الضخمة التي تعلو البوابة الرئيسة... عنونًا كبيرًا كُتبت حروفه العربية بقطاعات معدنية ضخمة مُذهَّبة يخطف بريقُها الأبصار...

تسلَّل إلى أذنيه شيءٌ عن التكلفة الباهظة لهذه الصنعة المتقنة فراعه الأمرُ، وصار على لسانه مضربًا للمثل يستشهد به دومًا في محيط الأسرة والأصدقاء مستدلًّا به على ما صار إليه من أهمية، وعلى أهمية عمله الذي لم يكن يخفى على أحدٍ... وإن كان عمله بسيطًا مقارنة بمن يعملون بهذه الهيئة الكبيرة فيكفيه أن يطلق عليهم - ولو بينه وبين نفسه - "زملاء!"... لكن أين هو منهم؟! فلا مجال للمقارنة من قريبٍ أو بعيدٍ في المستوى المادي أو الوضع الاجتماعي... ثم يعود ليصبِّر نفسَه فيذكر زملاء مهنته في الهيئات الحكومية الأخرى فيستعيد ثقته بنفسه وإحساسه بقيمته ويتيه فخرًا، فهو الأوفر حظًّا والأعلى راتبًا، ويكفيه ما أحرزه من نصرٍ حين يتذكَّر عدد

المتقدمين إلى الوظيفة التي شرفت به وشرف بها في "بوفيه" الهيئة... بينهم كثيرٌ من أصحاب الشهادات العليا، ولولا تدخُّل "الواسطة" التي "بُريت كعوب قدميه" في السعي إلى صاحبها، وذاب وجهه خجلًا في التذلل له لما حُسم هذا الصراع الشرس لصالحه!

صحبَ صغيرَه في يوم الإجازة الأسبوعية في نزهة ليمرَّا في طريقهما بواجهة الهيئة... أشار بملء فيه إلى مقرِّ عمله مباهيًا..

وضع صغيره يده على مشكلةٍ! قال متعجبًا:

- بابا! بص كده على الاسم ده!

وأشار التلميذ النابه إلى لوحة الاسم الضخمة المُذَهَّبة التي تتصدر واجهة المشهد...

أجاب الأب مفاخرًا:

- أيوه! حاجة تشرف، مش كده؟! لو تعرف اتكلفت كام اللوحة دي؟!

أردف الابنُ قائلًا:

- تشرَّف إيه بس؟! تصرفوا كل المصاريف على كلمتين، وكمان مكتوبين غلط!!

ذهل الرجل وتوقف عن الكلام، في حين استكمل الابنُ استهجانه:

- أيوه غلط. إزاي يكتبوا همزة تحت الألف؟! المفروض دي مش همزة قطع، دي ألف وصل! هو ما فيش حد بيراجع وراهم؟!

أحسَّ الرجلُ بخيبة أملٍ كبيرةٍ... حاول أن يجد مبرِّرًا أو منفذًا للخروج من الورطة... لم يكن من أصحاب الشهادات، لكنه كان يشعر بقيمته بين ذويه فهو يفكُّ الخطَّ، بل ويستطيع قراءة الجريدة الصباحية، فجرب النطق بالكلمة عدة مرات فلم يجد فرقًا كبيرًا في الصوت في حالة وجود همزة أو غيابها... حاول أن يجد ما يجادل به صغيره:

- يا بني مش فارقة، هو احنا في حصة نحو علشان تقولي همزة ولا مش همزة؟! وبعدين هو قانون يعني ما يتغيرش؟! ولو قانون مين اللي حطه ومين اللي ممكن يحاسبنا لو خالفناه؟!

ضحك الصغيرُ وقال متعجبًا:

- قانون إيه؟! دي لغة ونحو!

سأل الأبُ متحيرًا:

- يعني مين المسئول؟!

قال الابنُ: أنا سمعت مدرس العربي اتكلم مرة عن مكان اسمه "مجمع اللغة العربية"!

ردد الرجل الكلمة في دهشة:

- "مجمع"!!

وأمام إصرار الصغير اكتفى الأبُ بالصمت وسبح معه في تيار أفكاره متعجبًا:

- أنا أول مرة أسمع عن الموضوع ده، طيب الناس الكبار المتعلمين محدش لاحظ خالص الغلطة دي؟! دي تبقى غلطة كبيرة في حقنا كلنا!!

تمنَّى لو (غمز) عم (سعيد) ليحضر سلمه فيصعد عليه وينزل تلك الهمزة التي صارت تزعجه كلَّما مرَّ تحتها! وكما لم يلحظ الموظفون الخطأ فبالتأكيد لن يلحظوا الصواب!

قرَّر أن يحمل على عاتقه مسئولية التغيير، وخاصةً وهو يعلم اقتراب زيارة المسئول الكبير بالدولة... عزم على أن يرفع الأمر إلى الرؤساء والمديرين، لكنَّه لم يستطع أن يقهر خوفه من مواجهة أحدهم في أمرٍ كهذا، فاكتفى بالبوح به بين زملائه ومن اعتاد رؤيتهم من العمال والموظفين حتى أصبح الأمرُ حديثَ الساعة في الهيئة الحكومية كلِّها...

بذل الرؤساء جهدهم لتتبع مصدر الإشاعة المغرضة التي تنال من هيبة الهيئة لا سيما مع اقتراب الزيارة المرتقبة للمسئول الكبير، وما ستلقي به هذه المشكلة من ظلال على أمورٍ تهدد سمعتها أمامه، وقد تجشمت الشركة

جهودًا كبيرة في إعلانات، وعطاءات، وشركة نفذت، ومبالغ ضخمة أُنفقت حتى أُنجزت تلك التحفة المبهرة! ثم ماذا عن اللوحة الكبيرة وما سيجري عليها من تشويه جراء هذا الجزء المراء اقتطاعه؟! ولو فرضنا أنَّ الأمرَ تحقَّق على هذا النحو فأين يذهبون بهذا الجزء الزائد؟! وما سيجرُّ عليهم من نقل عهدة، وتغيير مواصفات في السجلات، مما قد يلقي بشبهة الاختلاس وتبديد العهدة على منفذيها!!

كل ذلك وزيارة المسئول وشيكة!!

وانتهت المشكلة بتوقيع الجزاء على من أطلق الإشاعة وتلاعب بسمعة الهيئة الكبيرة، وبتحذير شديد اللهجة من التحدث في هذا الأمر ولو على سبيل المزاح حتى تمرَّ على خير الزيارةُ المرتقبة..

وشاء الله ألَّا تخيب ظنونهم ومرَّت المركب بتلك العاصفة الهوجاء في أمان، وانتهت الزيارة بسلام...

وحين وقف أمام مكتب الصراف ليتقاضى راتبه الشهري، وعلم من المبلغ المخصوم مقدار الجزاء الذي وُقِّع عليه تبسَّم ساخرًا، وقال في نفسه:

- أنا كنت ناوي أروح "المجمع" ده اللي ابني بيقول عليه واتكلم في المشكلة يمكن ألاقي حل معاهم.. بس بعد ما خصموا لي، خسارة فيهم المشوار وحق المواصلات.. يالا مش فارقة... مجرد همزة!!